أطوار الوحدة العربية

# عوامل ثورة العرب

## للأستاذ نسيب سعيد

أظنك لا تزال تذكر أني وعدتك في حديثي الماضي أن أفصل لك ما أجملت من الأسباب المباشرة لثورة العرب الكبرى . وقد رددت هذه الأسباب إلى عوامل أربعة ، وهي : العامل الشخصي ، والإقليمي ، والديني ، والقومي . وها أنا الآن — برًّا بالوعد الذي قطعته على نفسي — أشرع بالإسهاب والتفصيل فأقول :

### ١ — العامل الشخصي

يذهب الباحثون إلى القول أن في مقدمة العوامل المباشرة للثورة العربية اعتقاد زعيمها « الحسين بن علي » بأن رجال

---

الأميرة ( زوديتو ) ابنة ( منليك ) وإلى جانبها الرأس ( تفاري ) ابن عم ( ليدو يسوع ) حاكما على البلاد ، وبقيت السلطة في يد ( زوديتو ) حتى ٧ أكتوبر ١٩٢٨ إذ نودي بالرأس ( تفاري ) ملكاً فقط . وبعد وفاة القيصرة عام ١٩٣٠ أصبح ملك ملوك في ٢ نوفمبر ١٩٣٠ ولقب بلقب (هيلاسلاسي) أي قوة الثالوث . وما كاد يجمع عزيمته للعمل على رفع مستوى شعبه علمياً وأدبياً وعسكرياً حتى انقضت عليه إيطاليا الفاشستية واغتصبت منه عرشه . لكن هذا النصر الإيطالي لم يكن في الحقيقة إلا انتصار الحديد ووسائل القتال الحديثة التي لم تكن متوفرة عند الحبش على الشجاعة والبطولة والإيمان بالقول المأثور ( النصر مكتوب لأسد سبط يهوذا ) الذي تحقق أخيراً بفضل تعاون الأسدين اليهوذي والسكسوني .

فؤاد حسنين
مدرس بكلية الآداب — جامعة فؤاد الأول

الدولة العثمانية قد انتزعوا كل ثقة منه ومن أنجاله ، وأنهم يتحينون الفرص للقبض عليه وإقصائه ونفيه إلى أقاصي البلاد . ولا يخفى عليك أن الغاية الأساسية للترك من إرسال وهيب باشا القائد التركي العام إلى الحجاز وتزويده بما زود به من سلطة واسعة ، هو لأجل القضاء على كل ما « للحسين » من نفوذ وشوكة في البلاد العربية . ويعترف جمال السفاح في مذكراته أن وهيب باشا هذا طلب من الحكومة إرسال فرقة من الجند لتنفيذ مشروعه ، ولو لا مفاجأة الحرب العظمى — وقد جاءت على حين غرة — لنفذ ذلك المشروع الظالم ، ولقضوا على « الحسين » قضاء أبدياً ، بل لقضوا على كل حركة أو نهضة قومية في بلاد العرب

ويضاف إلى ذلك ما يردده البعض من المؤرخين وهو أنه كان « للحسين » عيون في ديوان حكومة مكة ، وفي مكتب برقها ، وفي الباب العالي أيضاً يوافونه بكل ما يدور بشأنه من مكاتبات بين الآستانة ومكة ، ويطلعونه على جميع الخطط والتدابير . وما كان باستطاعة الاتحاديين الترك معرفة شيء من أسراره وخططه لأنه كان حذراً ، شديد التكتم ؛ وقد ظل يجاملهم ويلاطفهم ، حتى اضطرهم إلى استبدال وهيب باشا بغالب باشا في أوائل زمن الحرب الماضية ، فارتاح من خصم شديد المراس ، وخلا له الجو في العاصمة العربية فتصرف كما أراد وتسنى له أن يستأثر بمقادير كبيرة من السلاح في خلال سنتي الحرب الأوليتين ، كما استطاع الحصول على مبلغ كبير من المال لا يقل عن ٦٠ ألف ليرة عثمانية ذهب من جمال السفاح . ولعل خوفه من الانتقام هو الذي جعله يشترط على الترك في خلال المفاوضات التي دارت بينه وبينهم جعل الإمارة العربية وراثة في أنجاله لأنه كان يخشى إقصاءه في أول فرصة تسنح ، فأراد لذلك أن ينال من الدولة العثمانية عهداً باستبقاء الإمارة في بيته وذريته فيطمئن ويرتاح ، فأبى عليه رجال الترك ذلك

٢ — العامل الإقليمي

ويأتي العامل الإقليمي أو الاقتصادي بعد العامل الشخصي، ويجب أن يحسب حسابه أيضاً؛ وقد نشأ عن مركز الحجاز الاقتصادي وعن حالته الاستثنائية. فالحجاز قطر مجدب أو واد غير ذي زرع كما وصفه التنزيل العزيز. وقد اعتاد سكانه أن يعيشوا مما يدره عليهم موسم الحجيج. ولا يخفى أن الحرب العظمى أعلنت في شهر رمضان عام ١٣٣٢ أي قبل موسم الحجيج بثلاثة أشهر تقريباً، فضرب الحصار البحري على سواحل الحجاز في البحر الأحمر فتعطل بذلك موسم الحج، وشعر سكان الحجاز بالضائقة الاقتصادية الخانقة، وشعروا كذلك بألم الجوع، فكاتب الشريف «حسين» الحكومة وبسط لها الموقف الاقتصادي في القطر المقدس بسبب تعطيل موسم الحجيج فاعتذرت بسوء الحالة، وبحاجة الجيش إلى القوت، ولم ترسل شيئاً يهون على العرب هناك أمرهم وما هم فيه من ضنك وضيق فجاءوا الحسين يتوسلون إليه أن يعمل لإنقاذهم، والوسيلة الوحيدة للخلاص من تلك الضائقة المستحكمة الحلقات كانت بمحالفة البريطانيين، والاتفاق معهم على إلغاء الحصار البحري فتعود السفن والبواخر إلى زيارة الحجاج حاملة الميرة والحجاج والأموال والخيرات

٣ — العامل القومي

وخلاصة ما يقال فيه أن الحسين، وقد كان العرب ينظرون إليه كأكبر زعيم عربي في ذلك العهد كبر عليه أن تساق الحرائر من أبناء أمته إلى الأناضول سبايا تحت ستار النفي والإبعاد، وأن يقتل كبار قومه، ويقلبوا ويمحوا من الأرض ويشتت شملهم لا لذنب جنوه ولا لإثم اقترفوه، وإنما لأنهم طالبوا الدولة العثمانية بإصلاح بلادهم العربية خوفاً من أن يؤدي الإهمال فيها إلى تدخل الدول الأجنبية في شؤونها باسم الإصلاح — كما جره من قبل في البلقان — ولذلك لم يجد الأمير العربي بداً حينما وقعت الواقعة، وأصم الترك آذانهم، من إجابة ملتمسه بالعفو عن زعماء العرب وأحرارهم من إعلان الثورة الكبرى انتقاماً لهم من الترك، وطلباً للثأر، ولإنقاذ بقايا السيوف من أبناء العروبة الأحرار، وقد كانوا مهددين بالفناء والموت المحتم.

وهنالك شبه إجماع بين الباحثين في القضية العربية على أن إسراع «الحسين» في إعلان ثورة العرب بعد الفتك بالرعيل الأول والثاني من الشهداء الأبرار، ونفي الأسر الكبيرة العربية إلى أقاصي الأناضول، حمل الترك على تغيير سياستهم وأساليبهم كما اضطرهم إلى استقدام جمال باشا وتنحيته عن العمل في بلاد الشام، فعاد إلى عاصمة الترك يجر أذيال الخيبة والانكسار بعد ما فشلت مساعيه، وخابت آماله في إنشاء عرش له في دمشق يتبوأه ويورثه لأبنائه من بعده وعلى الباغي تدور الدوائر

هذا من ناحية واحدة، أما من الناحية الأخرى فقد كان الاعتقاد سائداً بين العقلاء أن النصر في ختام الحرب سيكون للانكليز وحلفائهم، فتدور الدائرة على الألمان وأنصارهم ومنهم الترك فتنقرض الدولة العثمانية، ويموت الرجل المريض، ويستولي بالتالي — الحلفاء على أراضي تلك الأمبراطورية الواسعة، وبلاد العرب من جملتها، وهكذا يقع العرب في أيدي الدول الغربية الكبرى؛ ولذلك كان لا بد للحسين بصفته زعيم العرب الأكبر يومئذ من الاتصال بخصوم الترك والألمان، وعقد المواثيق معهم لإنقاذ دنيا العرب من أيدي الظلم والاستعباد، وإنشاء الدولة العربية الكبرى الموحدة، فتحل في الشرق مكان الدولة العثمانية المنقرضة، وتجدد مجد العرب الخالد، وتبعث عزهم الطريف التالد، وتحيي دولتهم العظيمة

٤ — العامل الديني

وأخيراً يجب ألا ننسى العامل الديني أيضاً، فقد كان الحسين، وهو صلب في دينه، شديد التمسك بأحكام الشريعة السمحاء، مغرقاً في المحافظة على التقاليد الإسلامية الحنيفة، يعتقد بكفر الاتحاديين الترك وخروجهم على الإسلام لأعمال بعضها بسطاً وافياً في المنشور الذي أذاعه على العالم الإسلامي

يوم إعلان ثورة العرب ، وقد نفهى من هذه المقدمة السلبية إلى نتيجة إيجابية وهى فرض قتالهم على كل مسلم ، والجهاد فيهم إنقاذاً للأمة من شرورهم . وقد قام بهذا الواجب حين أعلن الثورة عليهم وقاتلهم قتالاً رهيباً ...

تلك هى خلاصة العوامل التى عجلت فى إعلان ثورة العرب الكبرى ، ودفعت أميرهم « الحسين » إلى الصراع مع الترك وأنصارهم ، والانضمام إلى البريطانيين وحلفائهم .

والباحث المدقق فى هذه الثورة التى نشبت فى الحجاز أولاً ثم امتدت إلى بلاد الشام وغيرها من أقطار العروبة يجد أنها تمتاز عن الثورات والحركات العربية القومية الأخرى ، بكونها أول حركة استقلالية قام بها العرب مطالبين بالحرية والاستقلال ، والانفصال عن الترك والإفلات من نير الدولة العثمانية الجائر لتأسيس ملك عربى مجيد ، وتقلدوا السلاح لأجل ذلك . كما أنها كانت أعم ثوراتهم وأوسعها نطاقاً فقد اشترك فيها أبناء الحجاز ، ومصر والشام والعراق واليمن ونجد والشمال الأفريقى فوقفوا جنباً إلى جنب يقاتلون الترك تحت راية العروبة الخفاقة ، فأنقذوا الحجاز وحرروه من كل نفوذ أجنبى ، ثم واصلوا السير نحو الشام فاستولوا على جنوب القطر الشامى ثم اخترقوه وبلغوا أقصى حدوده الشمالية ، ولو ساعدتهم الظروف لواصلوا التقدم إلى العراق ، ولاستولوا عليه أيضاً . على أن ما فاتهم فى عام ١٩١٨ أدركوه فى سنة ١٩٢٠ فقد أنشأوا حينئذ حكومة عربية برئاسة أحد أبناء « الحسين » فى تلك الربوع

فهذا الطابع الخاص الذى طبعت به ثورة « الحسين » جعل لها مقاماً ممتازاً فى نفوس العرب على اختلاف أقطارهم ، وتباعد ديارهم ، وجعلهم يكبرون شأنها ، ويحتفلون بذكراها ، يضاف إلى ذلك أنها أنقذت الكثيرين من رجال سورية والعراق من موت محتم أو من شقاء دائم ، فقد كانت الخطة التى سار عليها الاتحاديون الترك فى ذلك العهد المظلم تقضى بنفى الأسر العربية الكبرى إلى أقاصى الأناضول لتتريكها وإفنائها ، واحتلال الأرمن محلها فيصبح الناس فى الشام بلا سراة ، كما أنها اضطرت الترك لإطلاق سراح كثيرين من الذين كانوا معتقلين فى غياهب السجون ، وكانوا ينتظرون صدور الأمر بإعدامهم من آن لآخر شأن إخوانهم الشهداء الذين سبقوهم .

وسيقدر العرب الأبرار — كلما طال بهم الزمن وامتد — ثورة أجدادهم هذه حق قدرها ويكبرونها ويجلونها ويدركون أنها من أنبل الثورات وأشرفها ، وإن الدعايات التى بثها الترك والألمان ضدها فى إبان الحرب الماضية لتشويه سمعتها ، ما كانت سوى أضاليل اقتضتها مصلحتهم السياسية ؛ ورغم النقائص التى اقترنت بها أسدت للعرب يداً كبرى ، وفتحت لهم باب الحياة القومية ، وعلمتهم كيف يثورون على الظلم والاستبداد ، ويقاتلون الظلام والمستبدين ، وكيف يطلبون الثأر والانتقام لأحرارهم وزعمائهم ومفكريهم الذين غدر بهم الترك ، وسقوهم كأس الردى لأنهم نشروا « الفكرة القومية » المقدسة ودعوا إليها . أما كيف أعلنت الثورة ، وأين كانت ميادين الصراع ، فهذا سيكون موضوع حديثنا المقبل ، فإلى اللقاء .

« دمشق » نسيب سعيد الحمامى


الصديق

أبو بكر

للدكتور محمد حسين هيكل باشا

ثمنه ٣٠ قرشاً

خلاف البريد

ملتزمة النشر

مكتبة النهضة

٩ شارع عدلى بمصر